مفهوم اللغة:

يقول دي سوسير معرّفا اللغة بأنها: "نتاج اجتماعي لملكة اللّسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنّاها مجتمع ما، ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة "[1].

من خلال تعريف دي سوسير للغة نستنتج بأنها ظاهرة اجتماعية مكتسبة نتيجة التقاليد التي يتبناها مجتمع ما، وهي تعد أفضل وسيلة للتعليم ولتحقيق الاتصال والتواصل.

عرّف نعوم تشومسكي اللغة بأنها: "ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما، لتكوين وفهم جمل نحوية"[2].

فاللغة عنده ملكة فطرية زوّد بها كل إنسان عند ولادته، ويمكنه من خلالها التواصل مع غيره من المتكلمين.

عرفها ابن جني بقوله: "أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [3].

أكّد ابن الجنيّ على الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضا أنها تستخدم في مجتمع، فكل قوم لغتهم.

عرّفها ابن خلدون بقوله: "اللغة في المتعارف عبارة المتكلم عن المقصود وتلك العبارة فعل لساني(ناشئة عن قصد لإفادة الكلام) فلا بدّ أن تصير ملكة مقتدرة في العضو الفاعل وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[4].

إن اللغة عند ابن خلدون أداة تعبير التكلم عن مقاصده، وتكون هذه الأداة ملكة فطرية عنده.

اللغة بين الاكتساب والتعلم:

يعرف سامي عياد حنا وآخرون الاكتساب اللّغوي بـ: « تعرض عشوائي للغة دون تخطيط، أو إتباع طريقة منظمة لتعلم اللغة. وهذا راجع لكونه يحدث في الطفولة، حيث يبدأ كل طفل في عامه الثاني – تقريبا– باكتساب نظم لغته الأم، ويستطيع خلال سنوات عمره الأولى أن يتقن نظام اللغة » [(5)].

فالطفل يكتسب التنظيم الفونوتيكي والفونولوجي والصرفي والتركيبي والدلالي كما هو في لغته الأم.

1
2
3
4
5

والشيء المؤكد اليوم أن نمو اللغة عند الطفل مشروط بـ « اكتمال بعض الأجهزة العضوية، ونضج بعض الأنسجة العصبية والعضلية، وبتدريب جوارح النطق لدى اكتمال نضجها، عن طريق التعلم»[1]. وفي مايلي نستعرض **المراحل اللغوية لنمو لغة الطفل**

مرحلة التقليد اللغوي:

يحدد خلف الله الفترة التي تتضح فيها معالم التقليد بقوله : « ويظهر أثر التقليد جليا في الشهر التاسع من العمر» [2]. غير أنه يرى أن هذا التقليد يمر بفترتين « الأولى محاولة الطفل إحداث أصوات شبيهة تماما بما يسمع، والثانية فهي التي يحاول فيها الطفل تقليد الأصوات بصرف النظر عن الثقة والنجاح في ذلك » [3]. بمعنى أن النوع الثاني أكثر ظهورا في مراحل نمو لغة الطفل الأولى.

ونظرا لعدم وضوح بداية ونهاية هذه المرحلة – مرحلة التقليد اللغوي – نجد علي عبد الواحد وافي يقول فيها: « تبدأ عند الأطفال العاديين من أواخر السنة الأولى أو أوائل الثانية، وتنتهي في الخامسة أو السادسة ، وقد تتأخر لمدة سنة كاملة أو أزيد بقليل لدى غير العاديين »[4].

ومهما يكن من اختلاف حول بداية ونهاية هذه المرحلة فإن تقليد الطفل لما يسمع يظهر فيها بشكل واضح وبيّن بحيث « يحاكي ما يسمع (الأصوات اللغوية وغير اللغوية) إذ نجده يعبر عن المعاني عن طريق محاكاته أصواتا حيوانية، أو محاكاته لأصوات الأشياء، أو يعبر عن المعاني عن طريق محاكاته لبعض الكلمات والمفردات » [5].

ويمكن القول بأن الطفل لا يكاد يبلغ سنه حتى تظهر على سلوكه بوادر التقليد، فنجده يعيد بعض الكلمات التي يسمعها، وبدخوله في السنة الثانية يصبح يردد المفردات وكأنه يحاول ترسيخها.

وما يقال حول التقليد في هذه المرحلة إن: « الأطفال لهم ميل للاستجابة لصوتهم على شكل أشبه ما يكون بالصدى؛ أي إن الطفل عند التلفظ بكلمة ما، يسمعها، فتصبح هذه الأخيرة عبارة على مثير تتبعها استجابة متمثلة في إعادة تكرار تلك الكلمة، ويستمر ذلك على هذا المنوال إلى أن

1

2

3

4

5

يحدث شيء ما في محيط الطفل يخرجه من هذه الاستجابة الدائرية، كرؤية شخص أو ملامسته له » [1]. وهذه المرحلة تسير وفق أساليب خاصة:

الأساليب المتعلقة بالأصوات: ومن بين هذه الأساليب ما حصره بعض الدارسين المحدثين في الآتي:

1 – أسلوب المحاكاة : في هذا « يلاحظ محاكاة الطفل لبعض الكلمات التي يسمعها محاكاة خاطئة، ثم يحاول تصحيحها شيئا فشيئا، مستعينا بالتكرار ومعتمدا على مجهوده الإرادي إلى أن تستقيم له اللغة » [2]. و مما يمكن ملاحظته حول الأخطاء التي يرتكبها الطفل في هذه المحاكاة ما يلي:

نطق صوت بدل آخر : ويكون عادة في الأصوات قريبة المخرج في مثل نطق الكاف مكان التاء، ففي كلمة (كتاب) ينطقها الطفل بهذه الشاكلة (تتاب). وقد يتعدى هذا التغيير إلى أن يشمل معظم حروف الكلمة الواحدة، في مثل نطق الطفل لكلمة (شكولاطة) بـ (ساساته).

قلب حروف الكلمة : ويراد به أن يقلب أو أن يقدم أو يؤخر الطفل حرفا في الترتيب الأصلي للكلمة، في مثل كلمة (أسد) ينطقها (أدس).

إهمال بعض حروف الكلمة: إذ يَعمد الطفل إلى ترك نطق بعض الأصوات والاكتفاء ببعضها الآخر، في مثل كلمة (ياسين) إذ ينطقها (سين).

2 – أسلوب تكرار المقاطع والكلمات: « يولع الطفل في مبدأ هذه المرحلة لما كان مولعا به في المرحلة السابقة من تكرار المقاطع والكلمات عدة مرات » [3]، « وهذا راجع لقدرة الطفل على حفظ الأصوات المسموعة وعلى تذكرها واستعادتها عند الحاجة »[4].

1

2

3

4

3 – أسلوب التعميم الصوتي: إذ يعمد فيه الطفل إلى تكرار الأصوات التي ألفها مع جل ما ينطقه من كلمات جديدة.

4 –أسلوب المحاكاة الموسيقية للعبارات: « في بدايات هذه المرحلة يحاكي الطفل بعض العبارات التي يسمعها مجرد محاكاة موسيقية، بأن يلفظ أصواتا مبهمة تمثل في توقيعها الموسيقى أصوات العبارة المسموعة دون الكلمات المتلفظ بها » [1] .

5 – أسلوب حركة محاكاة الطفل: في البداية تكون هذه المرحلة بطيئة، حيث « تسير ببطء شديد في أوائل السنة الثانية ثم تتسارع بشكل يصعب تحديده مع بداية السنة الثالثة، حيث تتنامى قوة التقليد اللغوي وتبلغ ذروتها في مهارتها ونشاطها وغزارة محصولها، فيقوم الطفل بتقليد كل كلمة يسمعها سواء طلب منه ذلك أم قام بها من تلقاء نفسه، ويؤدي به حرصه على التقاط المفردات والعبارات إلى تجميعها وتشكيلها في جمل وأغاني خالية من الدلالة، ولها الأثر الكبير في تثبيتها في ذهنه، كما تتعدى محاكاته للجمل والكلمات إلى تقليد الأساليب الصوتية التي يسمعها من الآخرين، كالأساليب الإخبارية والاستفهامية»[2].

الظواهر المتعلقة بالدلالة: على الرغم من أن الفهم والإدراك سابق للتقليد والتعبير، إلا أن هذا الفهم يظل مدة طويلة ضعيفا وغير دقيق نوعا ما، و يتمظهر هذا في الآتي:

1 –في أوائل هذه المرحلة يلاحظ هناك توسع كبير في استخدام الكلمات، وهذا يدل على عدم دقته في فهم مدلولاتها، فيحمل كلا منها من المعاني أكثر مما تحتمله، مثال: يطلق كلمة (بَعَو) على جميع الحيوانات، ويتخلص الطفل من هذا التوسيع تدريجيا مع تقدم العمر وزيادة محصوله اللغوي[3].

1

2

3

2 –كما تكون لغة الطفل خالية من الصّرف والاشتقاق، وغير مراعية لقواعد اللغة أو حروف الجر والوصل...، وقد شبهها البعض بلغة البرقيات، مثال: (طارت طيارة، راح كلب)[1].

3 –وفي البداية أيضا، يميل الطفل إلى القياس والسّير على وتيرة واحدة حيال جميع الكلمات، فنجده يتخذ نفس الطريقة في الجمع، فيجمع مثلا: (قلم على قلمات) قياسا على (كراس ـــ كراسات)[2].

4 –يفتتح الطفل هذه المرحلة بالنطق بكلمات مفردة قاصدا بها التعبير عمّا نعبر عنه بالجمل، فيقول: باب قاصدا (افتح الباب)، ويتحدد القصد من السّياق، وما على الآخرين إلا الاستنتاج حسب الموقف[3]. « ثم ترتقي لغته فتصبح ثنائية الكلمات، وبعد ذلك تصبح لغته ثلاثية الكلمات، أما تركيب الجمل تركيبا كاملا فلا يصل إليه إلا في أواخر هذه المرحلة»[4].

5 –يتصرف الطفل في ترتيب عناصر التركيب تبعا لدرجة أهميتها لديه، فمثلا يقول: (الماء أعطيني ماما) قدم كلمة الماء لأنها أكبر العناصر أهمية لديه[5].

6 –وفي قسم كبير من هذه المرحلة يتأثر الطفل في مفردات لغته وتراكيبها وقواعدها بأكثر الأفراد مخالطة له، وأحبهم إليه، كأمه– أخيه...[6].

7 –نمو الطفل اللغوي يكون تبعا لنمو فهمه، وذلك « عبر أطوار ثلاثة؛ (مرحلة المادة) التي تظهر فيها أسماء الذوات، وذلك لاقتصاره على إدراك المحسوسات فقط، و(مرحلة العمل) التي تظهر فيها

1
2
3
4
5
6

الأفعال، حيث تمكنه من إدراك الكلمات المعبرة عن المعنويات، (مرحلة العلاقات) التي تظهر فيها الحروف والروابط التي تعد أدق أنواع الكلمات مدلولا، لذلك كانت آخر ما يظهر في لغة الطفل »[1].

مرحلة الاستقرار اللغوي:

وتعد آخر مرحلة من مراحل الاكتساب اللغوي عند الطفل، وتتحقق في السن السادسة، حيث تستقر لغة الطفل، ويتمكن لسانه من أساليبها الصوتية، ويرسخ لديه قسم كبير من العادات الكلامية المنسجمة مع طبيعة لغته[2].

وفي هذه المرحلة يجد الطفل صعوبة في تعلم اللغات الأجنبية كما أن اللغة عند استقرارها لديه، لا تكون مطابقة تماما للغة التي أخذ عنها، فتظهر في صورة مغايرة للغة آبائه، ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها:

النُظم والتقاليد التي يسير عليها المجتمع في تلقين الأطفال اللغة في الأسرة وتعليمهم إياها في المدارس، وهذا يدل على الأثر البليغ الذي تخلفه هذه النّظم في تطور اللغة في أثناء انتقالها ومبلغ اختلافها.

إضافة إلى التغيير الدلالي الذي يطرأ على الكلمات في مجتمع ما [3].

وكما أن للتطور الطبيعي المطرد الذي يطرأ على أعضاء النطق أثرا في انحراف الأصوات إلى صورة أكثر انسجاما مع الوضعية التي انتهى إليها جهاز النطق، وما ينجم عن ذلك من اختلاف اللغة من جيل إلى جيل. هذا ولا يقتصر أثر العامل الذي نحن بصدده على تحريف بعض أصوات الكلمة عن مخارجها الأولى، بل قد يؤدي إلى انقراض الكلمة برمتها انقراضا تاما من لغة المحادثة. وذلك أن ثقل

1

2

3

الكلمة على اللسان، أو عدم تلاؤم أصواتها مع الحالة التي انتهى إليها تطور أعضاء النطق في جيل ما، كثيرا ما يعرضها هي نفسها للزّوال[1].

وللأخطاء السمعية دور في سقوط بعض الأصوات الضعيفة أثناء انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، ويعتبر هذا العامل سببا في سقوط كثير من الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات كسقوط علامات الإعراب من اللهجات العربية الحاضرة [2].

وتتسم لغة الطفل بجملة من **الخصائص والسّمات**، نذكرها في الآتي:

يغلب على لغة الطفل المحسوسات؛ لأنه أول ما يتعلم الكلام يبدأ بما تقع عليه حواسه، وبما يسمى في المصطلحات اللغوية أسماء الذوات، فالطفل أول ما يتعرف في كلامه على كلمات (بابا، ماما، حليب، أسماء اللُّعب)، ثم يتدرج في التعرف على الأسماء المحسوسة، في حين أن الأسماء المعنوية مثل كلمات (فرح، حنان، غضب) تختلف كثيرا في ظهورها لأنها تقتضي خبرات معينة لتهيئ الطفل للتعميم، وهذه القدرة لا تأتيه إلا متأخرة[3].

تتمركز أغلب ألفاظ الطفل في مراحله الأولى حول الذات، وهذا يعني أنه دائم الحديث عن نفسه، بحيث يشعر أن لديه تضخما في النزعة الذاتية[4].

يغلب على لغة الطفل « طابع الأسئلة في جميع المجالات، بما فيها الأسئلة عن معاني بعض الكلمات أو عن أسماء الأشياء، فقد أشار بعض الدارسين إلى أن حوالي 10 إلى 15% من حديث الأطفالفي هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة الشيء الذي يساعدهم على اتساع الحصيلة اللغوية لديهم »[5].

1

2

3

4

5

تكون اللغة المكتسبة عند الطفل « على نسق واحد خاصة بالنسبة لجميع أطفال البيئة الواحدة (غير مصابين بأي عارض يعيق نموهم اللغوي الطبيعي)، واللغة التي يكتسبها من المحيط الذي يترعرع فيه تكون بسرعة مدهشة، ففي مدة ثلاث سنوات يتوصل إلى إحراز القدرة التامة على إنتاج جمل لغته وتفهمها »[1].

يكتسب الطفل لغته « عن طريق سماعه لجملها، ومحاولاته تكلمها، ولا يحتاج في الحقيقة إلى من يمده بصورة منظمة بالمادة اللغوية. في حين أن لا أحد يعرف كيف يعلّمه اللغة. فالأم بالذات ليست ملزمة بأن تتخصص في مجال تعليم الطفل اللغة، كما أن تلك اللغة تنحرف بطبيعة الحال عن الأصول اللغوية التي نجدها مثلا في كتب اللغة. كما أن لغته لا تتعدى قدراته الطبيعية »[2].

اللغة التي يكتسبها الطفل « تساعده على أن يكتشف في الوقت ذاته محتوى الكلام كحقيقة قائمة بحد ذاتها، وتؤهله لتقنية التواصل اللغوي –نوعا ما– وبالتالي يكتشف ماهية اللغة وعملها ودورها في المجتمع الذي يحيط به »[3].

إن الطفل لا يكتسب مدلول العلامة اللسانية المنطوقة إلا بعد أن تكتمل لديه القدرة على تكوين صور ذهنية قارة، أو مفاهيم عن الأشياء التي تحيل إليها هذه العلامات في الواقع، وهو الأمر الذي يجعله يتحدث عن الأشياء التي يعرفها حتى وإن كانت غائبة عنه[4].

البساطة وعدم الدقة والتحديد في المطلوب « فقاموس الطفل ينمو تدريجيا في خلال السنوات الأولى من عمره حتى يبلغ حوالي (ألفي) كلمة عندما يصل سن ست سنوات. وتجدر المعرفة بأن نصيب كل كلمة من التكرار والاستعمال والخبرات التي ترد فيها تختلف عن غيرها من الكلمات وكذلك فإن قدرة الطفل في هذه الفترة على التعميم غير كافية، وخبراته قليلة، مما يؤدي إلى الغموض الذي ينتاب

1

2

3

4

كثيرا من كلمات قاموسه اللغوي، ولما كانت الكلمات التي ينطقها لا تكون منفصلة عن غيرها، إنما ترد في عبارات أو جمل، قد تختلف معانيها باختلاف التركيب الذي تقع فيه. مما يسبب في أن يختلط الأمر على الطفل حين يستمع إلى كلمة جديدة ويعطيها معنى، ليحاول أن يستخدمها في صيغة جديدة. وذلك لأن الطفل في السنوات الأولى يتوقف عند حد معرفة الكلمة الجديدة، فيدرك معناها ثم يكتفي بذلك. ولهذا فإننا نلاحظ أن تفسير الأطفال لكثير من الكلمات والعبارات عندما يسألون عنها يثير في نفوس الكبار الضحك » [1].

تكرار الكلمات والعبارات « فتكرار الشيء المألوف يعتبر نزعة طبيعية عند الطفل، تظهر بوضوح في سلوكياته منذ طفولته الأولى، فهو يكرر ما اعتاد عليه من حركات وأصوات، وربما يعود ذلك إلى طبيعة الطفل البيولوجية التي تجعل منه راغبا في استخدام طاقاته المتناهية جسميا أو عقليا، ولكن مجال استخدامه لهذه الطاقات محدودا لقلة خبراته وتجاربه، فهو يعيد ويكرر ما اعتاده، وفي ذلك تأكيد لذاته، وتظهر عادة حب الطفل للتكرار بوضوح في التعبير اللفظي اللغوي. لأن اللغة هي من أيسر الأمور التي تظهر قدرة الطفل على تقليد الكبار ومحاكاتهم »[2].

ومن التكرار ما يكون مقصودا لذاته، دون أن يكون له أثر لغوي أو اجتماعي، فقد يستمع الطفل إلى صوت البائع فينادي بمثل ما سمع ويكرر المناداة، ولكن هناك ألوانا من التكرار في أحاديث الأطفال قد يكون له وظيفة لغوية، أي أن الكلمة أو العبارة وحدها لا تحمل نفس المعنى الذي تؤديه لو جاءت مكررة، فالطفل يستعمل كلمة (هنا) لتحمل معنى معينا، ولكنه يكررها لتعني الادعاء والتظاهر، وقد يجيء التكرار في كلام الطفل بقصد تأكيد المعنى وإظهاره مثل: تكرار كلمة واحدة عدة مرات[3].

1

2

3

تقديم المتحدَّث عنه في الجمل الخبرية وقد أثبتت هذا بعض الدراسات بأن الطفل يبدأ عباراته الخبرية عادة باسم المتحدَّث عنه؛ أي المسند إليه ثم يذكر المسند بعد ذلك مثل: الحليب أعطيني ماما[1].

والملاحظ أن « هناك اختلاف وتصور لمفاهيم الأطفال وكلماتهم عمّا هي عليه عند الكبار، حيث يبتدع الطفل صيغا لغوية خاصة به للتعبير عن أفكاره، بما لم يسمعها من المحيطين به، فهو يعاني من مشكلة اكتساب قواعد التراكيب اللغوية، فنجده يستخلص قاعدة لغوية معينة من النماذج التي يسمعها، ثم يطبق هذه القاعدة، وبعد ذلك يبدأ بتعديلها تدريجيا إلى أن تتطابق مع القاعدة التي يستخدمها الكبار »[2].

1

2